

تراثنا

الاستفاد من الغريب نتيجة السفر القريب

للإمام القارف بالله
عبد الكريم بن إبراهيم الجبلي



٧ ش الباب الأخضر المشهود الحسيني

القاهرة ت : ٨ ١٣٦٠

رأينا

الاستفاد من الغريب نتيجة السفر القريب

للإمام القارف بالله
عبد الكريم بن إبراهيم الجبلي



٧ من الباب الأخضر المشهد الحسيني

القاهرة ت : ٨ : ٩٣٦٠

رسالة « الإسفار الغريب نتيجة السفر القريب » تقع تحت رقم ١٧٨ مجاميع بدار الكتب المصرية وهي رسالة يتيمة للإمام عبد الكريم بن إبراهيم الجبلي صاحب كتاب الإنسان الكامل وجدنا عند تحقيقها نصبا وفي ضبط نصوصها حيرة وجهداً ، فهي رديئة الخط متداخلة السطور ، وليس هناك نسخة أخرى غيرها ، وهي الوحيدة على ما اعتقد في مكتبات العالم وهي تنتهي ناحية السفر الوجداني إلى مدارج الحقيقة الروحية ، وبعبارة أوضح . معارج النفس البشرية عند صفاتها بالمجاهدات والاذكار ، وتوجيهها من ضيق النفس إلى فضاء الروح ، بعد التخلي عن الأوصاف الذميمة ، والتخلي بأضدادها وهي الصفات الحميدة ، لتشهد بعض العجائب المكنونة والأسرار المخزونة في صدف البشرية ، وتفهم معنى محض تفضل الله وإطافه وإكرامه لهذا النوع الإنساني ، حيث يسر له الترقى إلى منازل الفهم عنه سبحانه وتعالى ، وجعله قابلاً للخلافة الكبرى والسلطنة العظمى ، وقد كان آدم عليه السلام أبو البشر ، قبل الملائكة ومعلمهم الأسماء وخليفة الله في أرضه ، وهذا حري بالإنسان أن يعرف سياسة النفس لأن ذلك يؤدي إلى معرفته الرب والوصول إلى حضرة القدس ، بعد رفع الالتباس والاشكال عنه ، فيعرف معنى الوصل والوصول والوصول والاتصال . قال عليه الصلاة والسلام « من عرف نفسه فقد عرف

ربه ، أى بأن تعرف النفس نفسها بذاتها وعجزها فتعرف ربها
باتصافه بكل كمال ، وبقدرته على جميع الأفعال بها وبغيرها ،
وتلاحظ صفاتها فى العالم الحسى وعالمها الروحانى القدسى ، فتميل
إلى مقامها الدانى بترك كل فان ، حتى تتجرد عن الأوصاف
الجسمانية الحسية ، وتتصف بأوصافها الروحانية الحميدة ، فحجاب
النفس عن كمالها العلمية إنما هو اشتغالها بالأمور البدنية والقوى
العنصرية ، فحينئذ لا بد لمن أراد أن يعرف نفسه ويشاهد أنوار
ربه ، أن يجرد نفسه من التعلق فحينئذ لا بد لمن أراد أن يعرف
نفسه من التعلق بالقوى البدنية ، والتقييد بالحواس الجسمانية ،
وليس معنى هذا أن يكون سلبيا فى وجوده ، وإنما يلطف نفسه
بالعبادات ، ويخفف جسمه بالرياضيات ، ويلتزم الورع فى
جميع أفعاله ، لقول النبى عليه الصلاة والسلام : لو صليتم حتى
تكونوا كالحبايا وصمتتم حتى تكونوا كالأوتار ، وأجريت من
أعينكم الدموع مثل الأنهار فما ينفعكم ذلك إلا بالورع . وهو
اجتناب الشهوات خوفا من الوقوع فى المحرمات فقليل من الورع
يجزى عن كثير من من العمل .

وعند ذلك يسافر العارف من كونه إلى مكنونه ، ويريه ربه
صور المعلومات التى صيرها أعيانا محسوسات مشهودة بمعانيها

المختلفات ، وكما يقول الجليلي رضى الله عنه : فإني أذكر في هذه الرسالة سفرا وجدته وجدانا . وسافرت إليه زمانا ، وشهدته عيانا ، وكنت أغار عليه منى واستره إلى عنى ، لأنه إسفرار عزيز ، وسفر وجيز ، إلى آخر ما في الرسالة التي سترى فيها حديثا عن عالم الأرواح والروحانيات وهو ما يسمى بعالم الغيب ، وهو غير عالم الخلق وعالم الملك والشهادة ، الذي هو عالم الأجسام والجسمانيات .

رسالة الإسفار الغريب نقيجة السفر القريب

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلى على أشرف خلقك سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .
الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان ، وجعله نسخة
كاملة ، محتوية على ما يحتوى عليه الفراش ، ونصبه دليلاً عليه ،
وطريقاً سالكاً إليه من أقرب طرق الامتثال ، حمداً يستدعى به
المديد من مزيد العرفان وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة من شهد ما يقول شهادة عيان ، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه . صلاة منه إليه بكل
لسان في كل أوان ، إذ هو ﷺ عن ربه ترجمان .

أما بعد : فإني أذكر في هذه الرسالة سفراً وجدته وجداناً .
وسافرت إليه زماناً ، وشهدته عياناً ، وكنت أغار عليه منى ،
واسقره إلى عنى ، لأنه اسفرار عزيز ، وسفر وجيز ، فلما وقع
لى كتاب « الإسفار من نتائج الأسفار » للشيخ الإمام الكامل
المحقق الوارث شيخنا محي الدين بن العربي رضى الله عنه ، رأيته
جمع فيه ، واستوعب جميع الأسفار العلوية والسفلية ، وذكر
فيه سفر الأنبياء عليهم السلام ، وسفر الملائكة ، وسفر الأسماء

وسفر العوالم العلوية والسفلية ، ولم يترك شيئا إلا ذكره ، وأبدع
 ذلك وأجاد ، ووجدت السفر الذي ذكرته آنفا ووجدته وشهدته
 قد ذكره الشيخ محي الدين رضى الله عنه ، إلا أنه مستور في
 كلام مرموز مفرق ، وعلمت أن ذلك غيرة منه عليه ، لعزته
 ورفعته ومكانته ، فاستخرت الله عز وجل في تقييده وإبرازه ؛
 مفرداً مشهوداً في هذه الرسالة لينتفع به أحبائنا وإخواننا أهل
 المشاهدة والتحقيق لقربه وبيانه وجمعه وهو سفر منك إلية ؛
 وسميته رسالة الإسفار الغريب نتيجة السفر القريب ، إذ ليس
 هو بعيد منك ، ولا خارج عنك ، قد يسره الله عليك تيسيراً ،
 وجعله في محكم كتابك مسطوراً ، وبالله أستعين ، فهو المستعان
 وعليه التكلان ، وإليه يرجع الأمر كله .

إعلموا أحبائنا وإخواننا أهل طريق الله تعالى أن هذا السفر
 القريب ، قد أشار إليه على ابن أبي طالب رضى الله عنه ، في آيات
 وبالغ في ذلك وهى :

دواك فيك وما تشعر	وداءك منك وتستنكر
وأنت الكتاب المبين الذى	بأحرفه قد طوى المضمهر
فمالك فى خارج حاجة	لعلمك فيه بما مسطر

وتزعم إنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ولتعلموا أحبائنا أن سالك هذا السفر ، يريد أن يتحقق
ويستحضر لطائفة العلوية وحقائقه الخفية ، وعوالمه السفلية
البدنية ، فيستحضر لطيفته القلبية ، وهو عرش الرحمن ، ولطيفته
الإنسانية وهو كرسية الكريم ، لأن الأمر في عرشه مجمل ، وفي
كرسيه مفصل الأمر ، وسدرة المنتهى هي جميع صورته من لطيفة
وكشيفته وعوالمه كلها ، فيستحضر أرض بدنه ، وما جعل الله فيه
من حيث هو حيوان ونبات ، من قوته الجارية والهاضمة والماسكة
والمدافعة والدامية والمعدية ، وكيف فتق طباقها السبعة ، من جلد
ولحم وشحم ، وعروق وعصب ، وعصل وعظام ، وملخص استواء
السر الألهى السارى فيه من النفخ الروحى ، إلى العلوى من البدن
فتفتق فيه سبع سموات ، سماء الدنيا وهى الحس ، وزينها
بالنجوم مثل العينين ، وسماء الخيال ، وسماء الفكر ، وسماء
العقل وسماء الذكر ، وسماء الحفظ ، وسماء الوهم ، وأوحى
في كل سماء أمرها ، وجعل في كل سماء من هذه السبع ، كوكبا
في مقابلة الكواكب السيارة ، وهى الحياة ، والسمع والبصر
والقدرة ، والإرادة والعلم والكلام ، يشهد بذلك ، إلى كان . التى
في الإنسان ، فهذا سفراً أسفر عن محياه ، وأظهر مآمنحه مولاه ،
فإذا تحقق الإنسان بهذه الحقائق ، واستحضر هذه الطرائق سافر من

معدنه إلى نباته ، إلى حيوانيته إلى إنسانيته ، إلى نفسه ، إلى عقله
إلى روحه إلى سره ، إلى حقيقة حقيقته وكليته المطلقة ، فإذا
وصل إلى هذه الحضرة بقى مستهلكا مستغرقا ، فانيا عن فناءه ،
والفناء من صفته ، والبقاء من صفته ، وأنها من صفة حقيقة
الحقائق ، فقامت حقيقته عنه بوظائفه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
« اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل وأهلك عوالمك
وحقائقك العلوية والسفلية ، وإلى هذا الموطن أشار الكامل
المحقق بقوله « كنت بلا كون لأنك كنته » . وإلى هذا الموطن
أشار أهل الطريق بالبقاء بعد الفناء ، وفي هذا الموطن يصح قول
القائل ، لا فاعل إلا الله . وإذا قالها قائل في غير هذا الموطن ،
يقولها قولا ، لا حقيقة ، ولما أقامني الله تعالى في هذا الموطن ،
عملت بيتين وهما :

ووالله لولا أتى لكم بكم	وفيكم أراكم كل ذلك مني
لذبت فنا والفنا صفتي بكم	ولسكنكم قتم بوصف البقاء عنى
وإلى هذا الموطن أشار الشيخ قطب الدين بن سبعين	
رضي الله عنه بقوله :	

قل لمن طاف بكاسات الهوى	وشرب خمرها حين وصل
ليس من موه بالوصل به	مثل من سيرقه حتى وصل
ولا من لوح بالوصل له	كالذي سير به حتى وصل

لا ولا الوصل عندي كالذي طرق الباب والدار دخل
لا ولا الداخل عندي مثل من سار روه فهو للسرحل
لا ولا من سار روه كالذي صار ايام فدع عنك العلل
فحصوه منه فامحوا ثم لها أثبتوه كم يزل
ذاك شيء علق القلب به لو تجلى منه للخلق قتل
كل فهراس تداني نحوها كل لاغ ماله فيها محل
كل عبد ماله عنه غنى أنا عبد للمحبين ثمل
يا حبيبي واسمها أعرفه ليس بالعين أرادها بل أجل

ولما كانت هذه الحضرة وهذه المواطن ، بهذه العزة وهذه
الرفعة ، حض الحق عليها خلقه ، أسوة بنبيه محمد ﷺ . إذ لما
أقامه في هذه الحضرة فرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة ، وهو
يعلم تبارك وتعالى ، أنهم لا يقدرون عليها ، لما أقامهم فيه من
الحكم الآلهية والتدبير الرباني ، تخفف عنهم وجعلها خمسين في اليوم
لليلة ، وأمر فيها بالطهارة وهي أن تقول نويت رفع الحدث فإذا
ارتفع الحدث نفي العدم ، الذي هو البقاء بالوضوء الآلهية ، فقل
بلسان تلك الحضرة : سافر من ظاهرك إلى باطنك ثم قمت للصلاة ،
فقلت الله أكبر تكبيرة الاحرام ، وهو أن تحرم في مقامك بأمر
باطنك وظاهرك . ثم تقرأ فاتحة الكتاب بلسان تلك الحضرة ،

فتفتح لك السماء الدنيا ، فتبصر ما أودع الله فيها من الأسرار ،
ثم تركع وترفع إلى السماء الثانية ، فتبصر عجائبها وما فيها
ثم ترفع وترفع إلى السماء الثالثة كذلك ، ثم تسجد فتصعد إلى
السماء الرابعة ثم ترفع وترفع إلى السماء الخامسة وتسجد وترفع
إلى السماء السادسة ثم ترفع وترفع إلى السماء السابعة ، فيلوح لك
البيت المعمور ، فتقرأ فيه الفاتحة في الركعة الثانية ، فإن التي
قطعتها عوالمك الكونية فتستفتح من البيت المعمور إلى حقائقك
المعنوية ، وتركع في الركعة الثانية لتصل إلى سدرة المنتهى ثم ترفع
وترفع إلى الكرسي ثم تسجد إلى العرش ثم ترفع لترفع إلى
مشاهدة المستوى الرحمانى ثم تسجد إلى الرفرف ثم ترفع إلى المكان
العالي ثم تسجد على باب حضرة البقاء ، وهو عالم الأمر ، فتسمع
منك إليك . بلسان تلك الحضرة : التحيات لله ، لأنك مستهلك
فان وهو وصفك والبقاء لله . فذكرت بلسان البقاء : التحيات لله
الزاكيات من الأعمال والطيبات من الأقوال ، والصلاة لله
فخطبت منك ، فقالت الرفيعة وهي تلك الحضرة والسلام عليك
أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
فأجابت لطائفك العلوية ، وحقائقك المعنوية وعوالمك السفلية
التراية الكونية ، بلسان تلك الحضرة : أشهد أن لا إله إلا الله ،

وحده لا شريك له « وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » . فقلت
بلسان تلك الحضرة . اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد . فأكمل
ستغرق وظهر إسفاره . وكملت أسرارته وأنواره . فرجعت بلسان
تلك الحضرة منك إليك ، فقلت السلام عليكم ورحمة الله .
سلمت على عوالمك الحسية الظاهرة بيميننا وشمالاً بذلك اللسان ،
ورجعت لتظهر الأفعال والأقوال عليك ، والله هو الفاعل القائل
وأنت مستغرق مستهلك ، كما قال الشيخ السكامل الوارث محيى
الدين بن عربى . رضى الله عنه ، فانها قد تلوح على ولى كمثل الرسم
فى الثوب الموشى ، ولما علم رسول الله ﷺ علو هذه المواطن ،
وسمو هذا الموطن ، وسمو هذا المقام ، وعلم أن الله تعالى طلبه من
خواصه وأحبابه لانتمائهم إليه ، فان أهل هذا الموطن محمولون
فيه موهوبون ، أراد صلى الله عليه وسلم ، استكثار أمته فيه ،
فمن صلاة الفجر وصلاة الاشرار ، وصلاة الضحى وصلاة الزوال
وقيل الصلوات الخمس ، وغيرها مما بين المغرب والعشاء ، وصلاة
الوتر وصلاة الليل ، وصلاة العيدين ، ليحم هذا الموطن الكل
من أمته وكذلك من شاء الله تعالى ، وذلك من شفقتة بأمته
واعتنائه بهم ، صلى الله عليه وسلم : والحمد لله يثيبنا الله وأياكم
فى هذه المواطن الشريفة ، وأقامنا وإياكم بحقيقة هذه اللطيفة .

ولما تمت هذه الرسالة ، أردت أن ألحق بها أبياتا كنت قد
عملتها من قبل هذه الرسالة ، لأنها في معناها فدوتها على متنها
وهي هذه .

وأنا تتبع الأثارا	قطع الكون ولم يدر السرا
فقد غدا الجيمان من بصرا	مغم في إحيه مستر
ليشهد المحبوب في كل الورا	لا يرى الغير ولا يسمعه
فتجلا فيه ما قد ستر	فتلك الآثار عن عالمه
كان جبريل وجود ظهرا	لم يكن قط حجاب لا ولا

أطلعنا الله وإياكم على أسرار ، وغمرنا وإياكم بأنواره ،
وجمعنا وإياكم فيه جمعا كاملا مكمل لا طواره إنه على كل شيء
قدير ، وبالإجابة جدير . والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . استغفر الله من الخطأ
والزلل ، ومن قول بلا عمل . وحسبنا الله ونعم الوكيل ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

تمت الرسالة المنيفة الفاتحة

وهي مشهراة من قرعة حسن الشربلي ٢٧ فبراير سنة ١٨٧٦

بعد ختام هذه الرسالة الصغيرة الحجم الكبيرة النفع ، يسرني أيها
القارئ الكريم أن أسوق إليك حديث عالم من العلماء الاعلام الذين
اشتهروا بصفاء الذهن ، والعبقرية النادرة ، وكان ممن مدحوا التصوف
وأخذوا أحاديث مدحهم بالروية والدقة فيما يصدرونه من قول فصل
حيث يقول ابن خلدون في هذا المعنى في مقدمته : « تصوفية آداب
مخصوصة بهم ، واصطلاحات في الفاظ تدوينهم ، إذا ارضاع اللغوية
إنما هي للمعاني المتعارفة ، فإذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف ،
اصطلحوا على التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منهم ، ولهذا اختص
هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة
السلام فيه . »

إلى أن يقول : ولما عني المتأخرون بهذا النوع من الكشف تكلموا
في حقائق الموجودات العلوية والسفلية ، وحقائق الملك والروح
والعرش والكرسي . . . وقصرت مدارك من لم يشاركهم في طريقتهم
عن فهم أذواقهم ومواجيدهم في ذلك ، وأهل الفتيا بين منكر عليهم
ومسلم لهم ، اهـ

والتصوف الإسلامي هو التدريب في معارج المعرفة والإيمان .
الحاصل من الترقى والطيران بجناحي العلم والعمل وتهذيب النفس بتحليلها
بالمضائل بعد تخليها عن الرذائل . حتى يحصل لها من الصفاء والتجرد
ما تنال به نوعا من الدلالة يقتضي إلى ما هو أقوى من المشاهدة

والمعاينة . ويتكشف للسالك من استمرار العلوم والمعارف . وأنوار
الحكم والطلايف . ما لم يخطر ببال ولا ألم بخيال .

وعن محمد بن حنيف قال : لو أن كل العلماء في المصور المختلفة قعدوا
على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق لكفى أمة .

ومعنى ذلك أن الفقهاء وقد أخذوا بطواهر الشرع دون التعمق
في سير أغوارها ، لم يصلوا إلى ما وصل إليه أهل الشريعة والحقيقة
من المعارف وقد أخذوا أنفسهم وطالبوها بحقيقة الوجود ومداومة
الصديق .

في هذا الكتاب مقومات التصور الإسلامي للجود الألهي الذي
لا يزال بمن الله به علينا .

وكيفية انتصار المسلم المؤمن على المادية بالمشالية .
وحقيقة الصلة بين الله والعالم . وإفاضة أنوار الذات الألهية
على الكائنات ليخرجها من الظلمات إلى النور .
وعالم الغيب وعالم الشهادة . ومعرفة أن العالم فقير إلى الله
والله هو الغني عن العالمين .

توجد في هذا الكتاب .
تفاصيل رحلة الإنسان في مسيرته السلوكية إلى الله . ومراجعه
إلى معرفته والتمفاني في حبه .

كل القلوب البشرية بها فاقة لا يسدها إلا محبة الله . والإنابة
إليه . ودوام ذكره وصدق الاخلاص له .

